التفسير العلمي بين المؤيدين والمعارضين

The Trend of Scientific Exegesis of the Holy Quran between Its Supporters and Opponents

الدكتور الضيف نطور*

Abstract

According to the trend of scientific exegesis, exegetes try to establish a connection between verses of the Holy Quran and the scientific discoveries about nature and cosmos in a striving to demonstrate the miraculous nature of the Holy Quran and that its teachings are relevant universally for all the times. There is a subtle distinction between the scientific exegesis and the scientific miracles of the Holy Quran. Not every scientific exegesis counts to be a miracle. On the contrary, every scientific miracle of the Holy Quran becomes recognizable only through the scientific exegesis. To detail this point, in the process of scientific exegesis an interpretation of the Quranic text is arrived at with the help of most recent scientific discoveries, whereas the scientific miracle means that some particular text of the Quran or the statement of the Holy Prophet Muhammad, peace be upon him, conveys such scientific facts that were unknown before the modern times and it was impossible for any human being to know them during the times of the Holy Prophet.

Among the eminent supporters of the scientific exegesis in the classical times were scholars like Imām al-Ghazālī, Imām Fakhruddīn al-Rāzī, al-Zarkashī, and al-Sayyūtī. In the modern times, supporters of this trend include Jawharī Tantāwī, Abd al-Hamīd ibn Badīs, Ahmad Mustafā al-Marāghī, Hanfī Ahmad, Zaghlūl al-Najjār, and Abd al-Majīd al-Zandānī. Jawharī Tantāwī has emerged as the lead exegete who supports and propagates the trend of scientific exegesis.

Famous opponent of scientific exegesis in the ancient times had been al-Imām al-Shātibī. In the modern time Shaykh Mahmūd Shaltūt, Muhammad Hasn al-Zahbī, Muhammad Lutfī al-Sabbāgh, Abd a-Majīd al-Muhtasib are against this trend of exegesis.

In our opinion, the scientific exegesis is acceptable, albeit with the following conditions:

---

* ألأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، باكستان.

1. The Holy Quran should be interpreted by relying on those scientific facts which have been firmly established and are not subject to change.
2. That we may not stick to some interpretive opinion regarding the details of the cosmic and natural phenomena mentioned in the Holy Quran, unless we have a sound proof which is beyond any doubt or suspicion.
3. That the discussion of scientific exegesis may not overshadow the two basic features of the Holy Quran: guidance and its being a miracle.
4. Such discussions should lead Muslims to intellectual revival, remind them of the greatness of the Holy Quran, and help them benefit from the nature.
5. That these discussions should be employed to prove the oneness of Allah the Almighty, His Omniscience, His Omnipotence, and in fetching fresh examples of the miraculous nature of the Holy Quran.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛

فإن القرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز, أنزله الله تعالى هدى للمتقين وبشرى للمؤمنين فقال جل وعلا: ﴿الم ○ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[2]

وقد تمثلت هذه الهدايات الربانية في جوانب مهمة من حياة الإنسان كالعقيدة والشريعة والأخلاق، وتمثل الإعجاز القرآني في بلاغته وفصاحته وأسلوبه ونظمه وفخامته وعذوبته وتشريعاته ومعرفته بالغيوب، وبما جاء فيه من إشارات علمية حثّت الإنسان على معرفة نفسه وأرضه وسمائه وعلوم الكون المحيط بأفلاكه وكواكبه وجباله ونباته وبحاره وأنهاره.

وقد اتفق علماء الأمة الإسلامية على كون القرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز ولكنهم اختلفوا – قديماً وحديثاً – في الإشارات العلمية التي زخرت بها آيات كثيرة من الذكر الحكيم، هل يعدونها وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني أم لا يعتبرونها كذلك؟

ومن هنا تظهر أهمية هذا الموضوع الذي أنا بصدده حيث تكمن أهميته في كونه يعالج مسألة مهمة اختلف فيها علماء الأمة، فمنهم من اعتبر أن تفسير القرآن بما توصل إليه العلم الحديث أمر مهم للغاية لا يمكن تجنبه والسكوت عنه كالغزالي والرازي والسيوطي قديماً، وطنطاوي جوهري حديثاً، ومنهم من رفض التفسير العلمي ورآه غير لائق بتفسير كتاب الله تعالى كالشاطبي قديماً ومحمد حسين الذهبي والشيخ شلتوت حديثاً.

وقد وقفت على عدة دراسات سابقة كتبت في التفسير العلمي منها:

١- مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للأستاذ الدكتور زغلول راغب محمد النجار.

٢- أبين آيات الإعجاز العلمي: "السماء في القرآن" للدكتور زغلول النجار.

٣- الجانب العلمي في القرآن الكريم للدكتور صلاح الدين خطاب.

٤- خلق الإنسان بين الطب والقرآن للدكتور محمد علي البار.

٥- آيات الله في الآفاق للشيخ عبد المجيد الزنداني.

ولكن ما يزال البحث العلمي قائماً حول هذا الموضوع الهام الذي يعد موضوع الساعة في ظل الاكتشافات العلمية الحديثة.

وقد قسمت بحثي هذا بعد المقدمة إلى تمهيد ومبحثين وخاتمة. بينت في التمهيد المراد بالتفسير العلمي والفرق بينه وبين الإعجاز العلمي.

أما المبحث الأول فتحدثت فيه عن المؤيدين للتفسير العلمي قديماً وحديثاً.

في حين خصصت المبحث الثاني لبيان الفريق المعارض للتفسير العلمي في القديم والحديث. وبينت رأيي في هذا الموضوع وختمت البحث بخاتمة بينت فيها بعض النتائج التي توصلت إليها.

تمهيد

قبل أن أبدأ في بيان المؤيدين للتفسير العلمي والمعارضين له يحسن بي ابتداءً أن أعرف بالتفسير العلمي تمهيداً لهذا البحث.

تعريف التفسير العلمي

اهتم بعض العلماء والباحثين في العصر الحديث بتعريف التفسير العلمي، في حين لم أجد هذا الاهتمام عند علماء القرون السابقة بالرغم من انشغال بعضهم به، فقد عرفه الدكتور محمد حسين الذهبي[٣] بقوله: "نريد بالتفسير العلمي: التفسير الذي يُحَكِّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها"[٤].

وعرفه الدكتور محمد لطفي الصباغ[٥] بقوله: "إنه تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآية، والربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية"[٦].

كما عرفه الدكتور عبد المجيد المحتسب[٧] بقوله: "والتفسير العلمي: هو التفسير الذي يتوخَّى أصحابه إخضاع عبارات القرآن للنظريات والاصطلاحات العلمية وبدل أقصى الجهد في استخراج مختلف مسائل العلوم والآراء الفلسفية منها"[٨].

وعرفه الدكتور فهد الرومي[٩] بقوله: "المراد بالتفسير العلمي: هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز القرآن يدل على مصدره، وصلاحيته لكل زمان ومكان"[١٠].

والذي يتجلى لي من خلال هذه التعاريف الأربعة للتفسير العلمي:

١- أن هذه التعاريف الثلاثة الأولى متفقة في مضمونها وإن اختلفت في بعض الألفاظ.

٢- أن أصحاب هذه التعاريف الثلاثة الأولى كلهم من الفريق المعارض للتفسير العلمي في العصر الحديث، وبالتالي فإن تعاريفهم للتفسير العلمي جاءت متفقة تحمل في طياتها ما يدعم رفضهم أو إنكارهم لهذا الجانب من التفسير.

فكلمة "تحكيم"، وعبارة "اصلاحات علمية" أو "مصطلحات علمية، وكلمة العلوم" أو "الآراء الفلسفية" كلها جاءت في هذه التعاريف، مما يضفي عليها طابع القسوة والنظرة النقدية. فهل التفسير العلمي تدخل فيه الآراء الفلسفية؟

إن الذي أراه أن الفلسفة لا تدخل في التفسير العلمي، لأن لأصحابها اتجاه خاص باسم: التفسير الفلسفي.

أما ما نهجه المتشددون من الفريق المؤيد للاتجاه العلمي – كطنطاوي جوهري – مثلاً – عندما يلجأ إلى الاستشهاد بآراء الفلاسفة كابن سينا[١١] وإخوان الصفا[١٢]، في بعض ما يذهب إليه، فلا يقوم حجة ينبغي الوقوف عندها، بل يعتبر هذا تطرفاً وغلواً ينبغي اجتنابه.

يقول الدكتور فهد الرومي: "والذي أعتقده أن التفسير العلمي بمعناه المعروف لا يشمل الآراء الفلسفية كما لا يعم مختلف العلوم، بل في أنواع معينة منها كالطب والرياضيات والفلك وعلم الحيوان والنبات والكيمياء وعلم طبقات الأرض ونحو ذلك من العلوم التجريبية فلا يشمل مختلف العلوم على إطلاقها"[١٣].

٣- إن التعريف الرابع للتفسير العلمي، والذي ذكره فهد الرومي، هو التعريف الذي أراه تعريفاً وسطاً يمكنني أن أرجحه من بين التعاريف الأربعة السابقة، لأن نظرة صاحبه موضوعية، فهو ليس من المعارضين للتفسير العلمي، وليس من المؤيدين له مطلقاً.

وقد شرح كلمات وعبارات تعريفه ليصير واضحاً أمام أعين القراء، فقال:

"ولا شك أن وصفه بـ "اجتهاد المفسر" يدخل فيه التفسير العلمي المقبول والمرفوض، لأن المجتهد قد يخطئ وقد يصيب. وقولنا "الربط" ليشمل ما هو تفسير وما هو من قبيله كالاستئناس بالآية في قضية من قضاياه ونحو ذلك، وقولنا "العلم التجريبي" يخرج بقية العلوم الكلامية والفلسفية ونحوها. وقولنا "على وجه" لبيان ثمرته، وقولنا "يدل على مصدره" نقصد به أنه إذا ما ثبت هذا التوافق بين نصوص القرآن الكريم وحقائق العلوم ولم يقع أي تعارض بين نص قرآني وحقيقة علمية مهما كانت جدتها وحداثتها فإنه لا يمكن أن يقول مثل هذه النصوص بشر قبل اكتشافها بقرون ولابد من أن يكون المتكلم بها هو موجد هذه الحقائق ومكونها وهو الله سبحانه وتعالى، وقولنا "وصلاحيته لكل زمان ومكان" نقصد به أنه صالح لكل عصر حتى لا تأتي عليه الأيام ولا الحدثان بما يبطل شيئاً منه فهو صالح لكل عصر وأوان.."[١٤].

الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي

قبل بياني للفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي يحسن بي أن أعرِّف الإعجاز العلمي.

فالإعجاز العلمي هو ((إخبار القرآن أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- مما يظهر صدقه فيما أخبر به عن ربه))[١٥] أو هو ((سبق القرآن الكريم بالعديد من الحقائق العلمية قبل وصول المعارف المكتسبة إليها بعدة قرون))[١٦].

أما الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي فبينهما عموم وخصوص فكل إعجاز علمي هو تفسير علمي وليس كل تفسير علمي إعجازاً علمياً.

كذلك فإن التفسير العلمي هو الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة سواء كانت نظريات أو حقائق علمية.

أما الإعجاز العلمي فهو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيراً وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم[١٧].

وأيضاً فإن التفسير العلمي فيه ما هو صحيح وما هو خاطئ أما الإعجاز العلمي فكله صحيح لأنه ثابت عن حقائق علمية لا تتغير بمرور الأزمان.

المبحث الأول: الفريق المؤيد للتفسير العلمي قديماً وحديثاً

المطلب الأول: أبرز المؤيدين للتفسير العلمي قديماً

إن أبرز علماء الفريق المتحمس والمؤيد للتفسير العلمي في العصور المتقدمة، هم: الإمام الغزالي[١٨]، والإمام فخر الدين الرازي[١٩]، والإمام الزركشي[٢٠]، والإمام السيوطي[٢١]، فقد تكلموا في بعض كتبهم عن التفسير العلمي، ونصُّوا على ضرورة الاهتمام به والرجوع إليه، معتبرين أن القرآن الكريم حوى كل شيء، وتناول كل العلوم، فنصَّ أبو حامد الغزالي على أن العلوم كلها راجعة إلى القرآن الكريم وكل ما أشكل فيه على العلماء والنظار واختلف فيه الناس في النظريات والمقولات، فعلمها وحلها موجود في كتاب الله[٢٢].

وأنكر الرازي على من يعارض إدخال علم الهيئة والنجوم في تفسير كتاب الله تعالى، ووصفه بالجهل والحماقة واعتبر ما ذكره فاسداً ورد عليه بخمس حجج، وقد ذكر ذلك أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٢٣]. فقال: "... وربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم، وذلك على خلاف المعتاد! فيقال لهذا المسكين إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته، وتقريره من وجوه: **الأول**: أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السماوات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث والتأمل في أحوالها جائزاً لما ملأ الله كتابه منها. **والثاني**: أنه تعالى قال: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾[٢٤] فهو تعالى حث على التأمل في أنه كيف بناها ولا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل في أنه كيف بناها وكيف خلق كل واحد منها. **والثالث** أنه تعالى قال: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢٥] فبين أن عجائب الخلقة وبدائع الفطرة في أجرام السماوات أكثر وأعظم وأكمل مما في أبدان الناس، ثم إنه تعالى رغّب في التأمل في أبدان الناس بقوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٢٦] فما كان أعلى شأناً وأعظم برهاناً منها أولى بأن يجب التأمل في أحوالها ومعرفة ما أودع الله فيها من العجائب والغرائب. **والرابع**:

أنه تعالى مدح المتفكرين في خلق السماوات والأرض فقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٢٧] ولو كان ذلك ممنوعاً منه لما فعل. **والخامس:** أن من صنّف كتاباً شريفاً مشتملاً على دقائق العلوم العقلية والنقلية بحيث لا يساويه كتاب في تلك الدقائق، فالمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان: منهم من يعتقد كونه كذلك على سبيل الجملة من غير أن يقف على ما فيه من الدقائق واللطائف على سبيل التفصيل والتعيين، ومنهم من وقف على تلك الدقائق على سبيل التفصيل والتعيين، واعتقاد الطائفة الأولى وإن بلغ إلى أقصى الدرجات في القوة والكمال إلا أن اعتقاد الطائفة الثانية يكون أكمل و أقوى وأوفى. وأيضاً فكل من كان وقوفه على دقائق ذلك الكتاب ولطائفه أكثر كان اعتقاده في عظمة ذلك المصنف وجلالته أكمل..))[٢٨].

ويرى الزركشي أن القرآن الكريم يحتوي علم الأولين والآخرين ويمكن لمن فهَّمه الله تعالى وتدبر في كتابه أن يستخرج منه كل شيء يريده، فقال تحت فصل "في القرآن علم الأولين والآخرين" ما يلي: ((... وفي القرآن علم الأولين والآخرين، وما من شيء إلا ويمكن استخراجه منه لمن فهَّمه الله تعالى، حتى إن بعضهم استنبط عمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين من قوله تعالى في سورة المنافقين: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢٩] فإنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن بفقده.

وقوله تعالى مخبراً عن عيسى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[٣٠] ثلاث وثلاثون كلمة، وعمره ثلاث وثلاثون سنة..))[٣١].

وجعل الإمام السيوطي في إتقانه النوع الخامس والستين خاصاً بالعلوم المستنبطة من القرآن الكريم. ويرى أن الله عز وجل قد ذكر كل شيء في كتابه، بدليل قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[٣٢]وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[٣٣] كما استدل بأحاديث نبوية وبأقوال الصحابة الكرام، منها: قوله صلى الله عليه وسلم "ستكون فتن" قيل وما المخرج منها؟ قال: "كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم"[٣٤].

ومنها قول ابن مسعود –رضي الله عنه-: " من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين"[٣٥].

ثم نقل السيوطي ما جاء عن بعض العلماء في هذا المقام، بأن القرآن قد جمع علم الأولين والآخرين[٣٦].

المطلب الثاني: أبرز العلماء المؤيدين للتفسير العلمي حديثاً

من أبرز العلماء المفسرين المؤيدين للتفسير العلمي في العصر الحديث هم: طنطاوي جوهري[٣٧]، وعبد الحميد بن باديس[٣٨]، وأحمد مصطفى المراغي[٣٩]... ويعتبر طنطاوي جوهري رأس المؤيدين للتفسير العلمي للقرآن الكريم حديثاً ومن أبرز المنادين به، حيث بنى تفسيره كله على هذا الجانب، واعتبر أن معظم العلماء والمفسرين القدامى قد اهتموا بالمسائل الفقهية، ولم يهتموا بالمسائل العلمية، بالرغم من أن الآيات التي تتحدث عن الفقه قليلة مقارنة بالآيات التي تتحدث صراحة عن العلم. فيقول:

"لماذا ألف علماء الإسلام عشرات الألوف من الكتب الإسلامية في علم الفقه. وعلم الفقه ليس له في القرآن إلا آيات قلائل لا تصل إلى مائة وخمسين آيه. فلماذا كثر التأليف في علم الفقه وقل جداً في علوم الكائنات التي لا تخلو منها سورة. بل هي تبلغ ٧٥٠ آية صريحة. وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من الصراحة، فهل يجوز في عقل أو شرع أن يبرع المسلمون في علم آياته قليلة ويجهلون علماً آياته كثيرة جداً. إن آباءنا برعوا في الفقه فلنبرع نحن الآن في علم الكائنات. لنقم به لترقى الأمة، فهذا الذي ينظر نظراً سطحياً لآيات النظر في العالم نراه لم يكتف في البيع والهبة والميراث والحج والصلاة بالنظر السطحي، بل نراه في الوضوء الذي هو شرط من شروط الصلاة، لم يكتف بالنظر الظاهري. بل ازداد البحث فيه جداً في مئات المجلدات المؤلفة في المذاهب الأربعة وغيرها. أفلا ينظر المسلمون اليوم إلى علوم الدين الحقة وهي علوم الكائنات، علوم معرفة الله، إن علم الفقه لحفظ الأمم وعلم الكائنات لمعرفة الله وحياة الأمم، وما به الحياة مقدم على ما به حفظ الحياة، إذ لا حفظ للحياة ولا عبادة إلا بعد ثبوت الحياة"[٤٠].

وأجده يوجه نداءً إلى الأمة الإسلامية ويحثها على ضرورة التعمق في العلم، ويعتبر دراسة العلوم في التفسير فرض عين، ودراسة علم الفرائض فرض كفاية، وينبه إلى ضرورة الاهتمام والبحث في العلوم الكونية مثل ما اهتم الآباء بآيات الميراث.

كما يعتبر أن الزمان الذي يعيش فيه هو زمان العلوم وزمان ظهور نور الإسلام!! وزمان الانقلاب وظهور الحقائق، ويصف فقهاء المسلمين الذين لم ينشغلوا بدارسة مختلف العلوم في الآيات القرآنية بالجهلاء المغرورين وصغار الفقهاء!!

وكأن الفقيه الكبير عند طنطاوي جوهري هو الذي يجمع في علمه وفقهه بين المسائل الفقهية والعلمية.

والحقيقة أن هذه حدّة كبيرة من طرف طنطاوي جوهري تجاه فقهاء المسلمين دفعه إليها تحمسه وتعصبه لهذا الاتجاه العلمي[٤١].

ويعتبر الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس من المؤيدين للتفسير العلمي أيضاً ويرى أن الحقائق العلمية التي اتضحت للعيان وبرزت للوجود هي من أوجه إعجاز القرآن الكريم، فقال: ((القرآن أعجز العرب ببلاغته حتى عرفوا وعرف العلماء بلسانهم المرتاضين ببيانهم أنه ليس مثله من طوق البشر. هذه هي الناحية الظاهرة في إعجاز القرآن والاستدلال به ولمن أتى به صلى الله عليه وسلم.

وهناك ناحية أخرى هي أعظم وأعم: وهي ناحيته العلمية التي يذعن لها كل ذي فهم من جميع الأمم في كل قطر وفي كل زمن: فقد استدل على أن القرآن لا يمكن أن يكون أتى به محمد من عنده، ولا يمكن أن يستعين عليه بغيره، ولا أن يكون من أوضاع الأوائل –بأنه ينطوي على أشياء من أسرار هذا الكون لا يعلمها إلا خالقه: فمن ذلك ما أنبأ به من أسرار الأمم الخالية وبين من أسرار الكتب الماضية، وما أنبأ من أحداث مستقبلية وما ذكر من حقائق كونية كانت لذلك العهد عند جميع البشر مجهولة كالزوجية في كل شيء، وسبح الكواكب في الفضاء، وسير الشمس إلى مستقر مجهول معين عند الله لها، وغير ذلك من أسرار العمران والاجتماع، وما تصلح عليه حياة الإنسان مما تتوالى على تصديقه تجارب العلماء إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم. فكتاب اشتمل على كل هذه الأسرار لا يمكن أن يأتي به مخلوق))[٤٢].

ونبه الشيخ ابن باديس في موطن آخر إلى أن القرآن الكريم يشوق الناس إلى البحث عن العلوم الكونية لاستجلاء حقائقها ومنافعها.

فيقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[٤٣] ((**تشويق القرآن إلى علوم الأكوان**: من أساليب الهداية القرآنية إلى العلوم الكونية أن يعرض علينا القرآن صوراً من العالم العلوي والسفلي في بيان بديع جذاب، يشوقنا إلى التأمل فيها، والتعمق في أسرارها. وهنا يذكر لنا ما خبأه في السماوات والأرض لنشتاق إليه، وننبعث في البحث عنه واستجلاء حقائقه ومنافعه بدافع غريزة حب الاستطلاع، ومعرفة المجهول. وبمثل هذا انبعث أسلافنا في خدمة العلم واستثمار ما في الكون إلى أقصى ما استطاعوا ومهدوا بذلك السبيل لمن جاء بعدهم، ولن نعز عزهم إلا إذا فهمنا الدين فهمهم وخدمنا العلم خدمتهم))[٤٤]

كذلك فإن الشيخ مصطفى المراغي يُعَد من المؤيدين للتفسير العلمي للقرآن الكريم حيث فسر آيات كثيرة تفسيراً علمياً مبنياً على ما توصل إليه العلم الحديث من حقائق ثابتة أو مما اكتشفه العلماء من نظريات علمية.

وبالتالي فإنك –عندما تقرأ تفسيره– تجده في بعض المواطن يستنبط من الآيات القرآنية إرشادات لأبناء الأمة الإسلامية وعلمائها، يحثهم فيها على ضرورة الاهتمام بالبحث العلمي في طباع

الأحياء، وأجزاء الكون ، وخفايا الكائنات، لزيادة الإيمان بالله وبيان إعجاز القرآن الكريم من الوجه العلمي للوصول إلى أن القرآن هو كلام العليم الخبير.

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[٤٥] يقول: ((وهذه الآية ونحوها ترشدنا إلى البحث في طباع الأحياء لنزداد علماً بسنن الله وأسراره في خلقه ونزداد بآياته فيها إيماناً وحكمة وكمالاً وعلماً ونعتبر بحال المكذبين بها الذين لم يستفيدوا مما فضلهم الله به على الحيوان فكانوا أضل من جميع أنواعه التي لا تجني على نفسها ما يجنيه الكافر على نفسه))[٤٦]

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٤٧] فيقول: ((... وفي ذلك إشارة إلى أن في الوجود أشياء لا تدركها الأبصار. وقد أثبت العلم الحديث بواسطة الآلات التي تكبر الأشياء أضعافاً مضاعفة (المكروسكوبات) أن هنالك أشياء لا يمكن رؤيتها إلا إذا كبّرت عن حقيقتها آلاف المرات كالجراثيم (المكروبات) ولم تكن تخطر على بال في عصر التنزيل، وقد ظهرت للناس الآن فهي من روائع الإعجاز العظيمة الدالة على أنه من كلام العليم الخبير))[٤٨].

ويعتبر حنفي أحمد –أيضاً– من المؤيدين للتفسير العلمي للقرآن الكريم في العصر الحديث، وقد ألف في ذلك كتاباً بعنوان: التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن. دعا فيه إلى استخدام العقل والنظر في الآيات الكونية للقرآن الكريم.

ويرى أن هذه الآيات الكونية وما تنطوي عليه من معاني دقيقة، تدل دلالة واضحة على أنها موجهة إلى أصحاب العقول والعلماء والعارفين بالعلم الحديث، للقيام بكشفها، وبيان مكنونها. ومما ذكره في مقدمته لهذا الكتاب قوله: ((لقد كانت دعوة القرآن دعوة علمية قائمة على تحرير العقول من الأوهام، وإطلاق عقال الفكر وحثّه على النظر في صحف الكون، لذلك نرى الكثير من آيات القرآن تنتهي بمثل قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٤٩] وبقوله: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[٥٠] وبقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥١]. وإن ما تنطوي عليه الآيات الكونية من معانٍ دقيقة ليدل على أنها موجهة إلى أهل النظر والبحث بصفة خاصة وأنهم هم المقصودون بأمر كشفها ومعرفتها لأنهم يملكون بعلمهم وسيلة معرفتها دون سواهم كما لا يمكن معرفة بلاغة الكلام إلا البلغاء ولا يميز الجوهر الثمين من غيره إلا الخبراء))[٥٢].

المبحث الثاني: أبرز المعارضين للتفسير العلمي قديماً وحديثاً

المطلب الأول: أبرز المعارضين للتفسير العلمي قديماً

إن أبرز العلماء المعارضين للتفسير العلمي قديماً هو الإمام الشاطبي[٥٣] –رحمه الله–، فقد تعرض في موافقاته لنقد أصحاب الاتجاه العلمي في تفسير كتاب الله تعالى لأنهم –حسب ماذكر– قد أضافوا إلى القرآن الكريم كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعات، والرياضيات، والمنطق، وعلم الحروف، وغيرها. ثم أورد أدلتهم ورد عليها، فقال باختصار:

((المسألة الرابعة:

ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها –وهم العرب– ينبني عليه قواعد منها: أن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحدّ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين، من علوم الطبيعات، والتعاليم: المنطق، وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها...

وربما استدلوا على دعواهم بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[٥٤] وقوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[٥٥] ونحو ذلك، وبفواتح السور –وهي مما لم يعهد عند العرب– وربما نقل عن الناس فيها، وربما حكي من ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره أشياء.

فأما الآيات فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد، أو المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [٥٦] اللوح المحفوظ, ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية.

وأما فواتح السور فقد تكلم الناس فيها بما يقتضي أن العرب بها عهداً، كعدد الجمل الذي تعرفوه من أهل الكتاب، حسبما ذكره أصحاب السير، أو هي من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا لله تعالى، وغير ذلك. وأما تفسيرها بما لا عهد به فلا يكون، ولم يدّعه أحد ممن تقدم، فلا دليل على ما ادعوا وما ينقل عن علي أو غيره في هذا لا يثبت، فليس جائزاً أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه. ويجب الاقتصار –في الاستعانة على فهمه– على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة، فيه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية. فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضلّ عن فهمه، وتقوّل على الله ورسوله فيه. والله أعلم وبه التوفيق.))[٥٧].

والحق أن ما ذكره الشاطبي في التفسير العلمي لا يُسلم له بذلك وقد رد عليه الشيخ الطاهر بن عاشور واعتبر الأساس الذي بنا عليه حجته أساساً واهياً من ستة وجوه: **الأول**: أن ما بناه عليه يقتضي أن

القرآن لم يقصد منه انتقال العرب من حال إلى حال وهذا باطل لما قدمناه، قال تعالى﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٥٨] **الثاني**: أن مقاصد القرآن راجعة إلى عموم الدعوة وهو معجزة باقية فلا بد أن يكون فيه ما يصلح لأن تتناوله أفهام من يأتي من الناس في عصور انتشار العلوم في الأمة. **الثالث**: أن السلف قالوا: إن القرآن لا تنقضي عجائبه يعنون معانيه ولو كان كما قال الشاطبي لانقضت عجائبه بانحصار أنواع معانيه. **الرابع**: أن من تمام إعجازه أن يتضمن من المعاني مع إيجاز لفظه ما لم تف به الأسفار المتكاثرة. **الخامس**: أن مقدار أفهام المخاطبين به ابتداء لا يقضي إلا أن يكون المعنى الأصلي مفهوما لديهم فأما مازاد على المعاني الأساسية فقد يتهيأ لفهمه أقوام، وتحجب عنه أقوام، و"رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"[٥٩]. **السادس**: أن عدم تكلم السلف عليها إن كان فيما ليس راجعا إلى مقاصده فنحن نساعد عليه، وإن كان فيما يرجع إليها فلا نسلم وقوفهم فيها عند ظواهر الآيات بل قد بينوا وفصلوا وفرعوا في علوم عنوا بها، ولا يمنعنا ذلك أن نقتفي على آثارهم في علوم أخرى راجعة لخدمة المقاصد القرآنية أو لبيان سعة العلوم الإسلامية، أما ما وراء ذلك فإن كان ذكره لإيضاح المعنى فذلك تابع للتفسير أيضاً. لأن العلوم العقلية إنما تبحث عن أحوال الأشياء على ما هي عليه، وإن كان فيما زاد على ذلك فذلك ليس من التفسير لكنه تكملة للمباحث العلمية واستطراد في العلم لمناسبة التفسير ليكون متعاطي التفسير أوسع قريحة في العلوم))[٦٠].

والمطلب الثاني: أبرز المعارضين للتفسير العلمي حديثاً

إذا كانت هناك جماعة من العلماء تؤيد التفسير العلمي وتدافع عنه، فإن هناك جماعة أخرى من أهل العلم تعارض هذا الاتجاه وتعتبره مخالفاً للغرض الذي من أجله أنزل الله تعالى القرآن الكريم.

ومن أبرز هؤلاء المعارضين: الشيخ محمود شلتوت[٦١] والدكتور محمد حسين الذهبي، والدكتور محمد لطفي الصباغ[٦٢]، والدكتور عبد المجيد المحتسب[٦٣]... وحتى يتضح اتجاههم جيداً، أسوق ملخصاً لبعض أقوالهم وآرائهم.

فالشيخ محمد شلتوت يُعَد من أبرز المعارضين للتفسير العلمي في العصر الحديث، وقد صرح برأيه في مقدمة تفسيره حيث اعتبر نظرة هؤلاء الذين ينهجون نهج التفسير العلمي للقرآن الكريم نظرة خاطئة من ثلاث جهات.

أ- من جهة أن القرآن كتاب هداية، ولم ينزله تعالى ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم وأنواع المعارف.

ب- من جهة أن أصحاب هذا الاتجاه يلجؤون إلى تأويل القرآن الكريم تأويلاً متكلفاً يتنافى مع الإعجاز القرآني.

جـ- ومن جهة أن العلوم لا تعرف الثبات ولا القرار فتجعل القرآن متعرضاً للدوران مع نتائج هذه العلوم إن طبقناه عليها[٦٤].

ثم ذكر أن تفسير القرآن على مقتضى النظريات العلمية يعتبر اتجاه خاطئ، وبيَّن جوانب الخطأ فيه فقال:

((جوانب الخطأ في هذا الاتجاه:

هذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك، لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف.

وهي خاطئة من غير شك؛ لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلاً متكلفاً يتنافى مع الإعجاز، ولا يسيغه الذوق السليم.

وهي خاطئة، لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير، فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غداً من الخرافات.

فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة. لعرضناه للتقلب معها وتحمل تبعات الخطأ فيها، ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفاً حرجاً في الدفاع عنه))[٦٥] .

ويعتبر الدكتور محمد حسين الذهبي —هو الآخر- من المعارضين للتفسير العلمي والمنكرين له. وقد صرح برأيه عندما تكلم عن التفسير العلمي في كتابه "التفسير والمفسرون" حيث تعرض لذكر بعض آراء المؤيدين لهذا الاتجاه من التفسير قديماً، ثم ردَّ عليهم برأي الإمام الشاطبي، وبسط أدلته في إنكاره للتفسير العلمي، وقام بترجيح مذهبه، وانتصر له وأيده واعتبر الحق بجانبه، ثم دعمه بأدلة أخرى من ثلاث نواحي: من الناحية اللغوية، ومن الناحية البلاغية، ومن الناحية الاعتقادية[٦٦].

ومما ذكره في إنكاره للتفسير العلمي قوله:

((ويبدو لنا أن أنصار هذه الفكرة - فكرة التفسير العلمى - لم يقولوا بها، ولم يعملوا على تأييدها إلا بعد أن نظروا إليها كوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم. وبيان صلاحيته للحياة، وتمشيه معها على اختلاف أحوالها وتطور أزمانها. ولكن... إعجاز القرآن غني عن أن يُسلك فى بيانه هذا المسلك المتكلف، الذى قد يُذهب بالإعجاز، وهناك من ألوان الإعجاز غير هذا ما يشهد للقرآن بأنه كتاب الله المنزَّل على محمد صلى الله عليه وسلم.

وإذا كان أرباب هذا المسلك فى التفسير يستندون إلى ما تناولته بعض آيات القرآن من حقائق الكون ومشاهده، ودعوة الله لهم بالنظر في كتاب الكون وآياته التي بثَّها في الآفاق وفي أنفسهم، إذا كانوا يستندون إلى مثل هذا فى دعواهم أن القرآن قد جمع علوم الأوَّلين والآخرين، فهم مخطئون ولا شك، وذلك لأن تناول القرآن لحقائق الكون ومشاهده، ودعوته إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض وفى أنفسهم، لا يُراد منه إلا رياضة وجدانات الناس، وتوجيه عامتهم وخاصتهم إلى مكان العظة والعبرة، ولفتهم إلى آيات قدرة الله ودلائل وحدانيته، من جهة ما لهذه الآيات والمشاهد من روعة في النفس وجلال في القلب، لا من جهة ما لها من دقائق النظريات وضوابط القوانين، فليس القرآن كتاب فلسفة أو طب أو هندسة..))[٦٧].

وبعد أن عرَّف الدكتور محمد لطفي الصباغ التفسير العلمي، تطرق إلى بيان رأيه فيه، فذكر بأن هذا التفسير يعتمد على التوسع في مدلول الكلمات، والآيات القرآنية، وأن أصحابه يعتقدون أن الإعجاز القرآني إنما يتحقق بالإعجاز العلمي! كما اعتبر أن سبب بروز هذا الجانب التفسيري في العصر الحديث هو نتيجة انبهار أصحابه بالحضارة الأوربية، ثم صرح برأيه، معتبراً هذا الاتجاه من التفسير غير سديد ولا يمكن الاعتماد عليه، لأن العلم في قلق وتغير دائم. ومما ذكره في هذا المقام قوله: ((ويعتمد هذا التفسير على التوسع في مدلول الكلمات، والآيات القرآنية، والاستيحاء من الكلمة منقطعة عن سياقها في الآية أحياناً، والاعتماد على الإشارات من هنا ومن هناك أحياناً أخرى، ويذهب القائلون به إلى أن الإعجاز إنما يتحقق في الإعجاز العلمي، ويقررون بأسلوب خطابي أن كثيراً من النظريات العلمية الحديثة التي تفتق عنها الذهن البشري المعاصر بعد أجيال من الخبرة والمعرفة، وركام من التجارب، قد سبق إليها القرآن قبل بضعة عشر قرناً وأشار إليها، ويحاولون الاستدلال بتحميل الألفاظ فوق ما تحمل ويتكلفون لذلك ويتمحلون.

كان الاهتمام بهذا اللون من التفسير نتيجة لانبهار نفر منا بضياء الحضارة الأوروبية، التي فتحنا أعيننا على مخترعاتها وثمرات علومها، فذهب هذا النفر يلتمس إشارات ذلك في القرآن ويدعو إلى فهم القرآن على ضوء النظريات الحديثة، كأن ما وصلت إليه هذه الحضارة حقائق ثابتة.

ومن أبرز هؤلاء الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره... والحق أنَّ هذا الاتجاه من التفسير غير سديد، وذلك لأن العلم في قلق وتغير دائم، وتطور مستمر، ينقض اليوم ما أقره بالأمس، والحقائق العلمية تبقى ثابتة في نظر العلماء حتى تدحضها حقائق أخرى، أما الفرضيات والنظريات فهي منذ أول وهلة في نظرهم لا تعد من الحقائق في شيء))[٦٨].

كما يعتبر الدكتور عبد المجيد المحتسب –هو كذلك– من المنكرين للتفسير العلمي حديثاً. فهو يرى أن القرآن الكريم ليس كتاب علم مثل الذرة والكيمياء والفيزياء والهندسة والفلك، بل هو كتاب هداية ورحمة، فلا ينبغي إخضاع الآيات القرآنية للعلوم الكونية والطبيعة وغيرها... ومما ذكره في ذلك قوله:

((إنني أنكر نزعة التفسير العلمي للقرآن الكريم ولا أسوِّغ إخضاع الآيات القرآنية للعلوم الكونية والطبيعية البتة، ولا أوافق الذين يستخرجون النظريات العلمية من الآيات القرآنية، لأن القرآن الكريم ليس كتاب علم مثل الكيمياء والذَّرة والهندسة والفلك والفيزياء وغير ذلك، وإنما هو كتاب أنزله الله تعالى على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ليكون هدًى ورحمة للناس. هو كتاب الإسلام الذي يشتمل على العقيدة الإسلامية التي ينبثق عنها نظام ينظّم علاقة الإنسان بخالقه "العبادات" وينظم علاقة الإنسان بنفسه "المطعومات والملبوسات" وعلاقته بغيره من بني الإنسان "المعاملات"))[٦٩].

وبعدما صرح بإنكاره للتفسير العلمي للقرآن الكريم راح يدلل على ما ذهب إليه بأربعة أدلة أسهب في ذكرها وبيانها[٧٠].

رأيي في التفسير العلمي

بعد أن عرفنا آراء المؤيدين والمعارضين للتفسير العلمي قديماً وحديثاً وبعد أن وقفنا على أدلة كل فريق من هذين الفريقين المتعارضين، يجدر بي الآن أن أبين رأيي في التفسير العلمي، فأقول:

إن رأيي وسط بين المؤيدين والمعارضين، فلا أأيده مطلقاً ولا أعارضه تماماً، بل أقبله بشروط وهي:

١- أن يفسر القرآن الكريم بحقائق علمية لا تقبل التبديل والتغيير.

٢- ألا نقطع برأي في تفاصيل ما يعرض له القرآن من الكونيات إلا إن كان لنا عليه دليل وبرهان لا شك فيه ولا نكران.[٧١]

٣- ألّا تطغى مباحث التفسير العلمي على أهم خاصيتين للقرآن الكريم وهما هدايته وإعجازه.

٤- أن تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة العلمية ويلفتهم إلى جلال القرآن ويحركهم إلى الانتفاع بالكون[٧٢].

٥- أن تستغل هذه الأبحاث العلمية في إثبات وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته وإضافة أمثلة جديدة للإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

الخاتمة

ختاماً لهذا البحث، أورد النتائج التالية:

أولاً: المراد بالتفسير العلمي: هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز القرآن يدل على مصدره، وصلاحيته لكل زمان ومكان.

ثانياً: التفسير العلمي والإعجاز العلمي بينهما عموم وخصوص فكل إعجاز علمي هو تفسير علمي وليس كل تفسير علمي إعجازاً علمياً، كذلك فإن التفسير العلمي هو الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة سواء كانت نظريات أو حقائق علمية، أما الإعجاز العلمي فهو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيراً وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: إن أبرز علماء الفريق المتحمس والمؤيد للتفسير العلمي في العصور المتقدمة، هم: الإمام الغزالي، والإمام فخر الدين الرازي، والإمام الزركشي، والإمام السيوطي.

رابعاً: من أبرز العلماء المؤيدين للتفسير العلمي في العصر الحديث هم: طنطاوي جوهري، وعبد الحميد بن باديس، وأحمد مصطفى المراغي، وحنفي أحمد، وزغلول النجار، وعبد المجيد الزنداني. ويعتبر طنطاوي جوهري رأس المفسرين المؤيدين للتفسير العلمي للقرآن الكريم حديثاً ومن أبرز المنادين به.

خامساً: إن أبرز العلماء المعارضين للتفسير العلمي قديماً هو الإمام الشاطبي.

سادساً: من أبرز المعارضين للتفسير العلمي حديثاً: الشيخ محمود شلتوت والدكتور محمد حسين الذهبي، والدكتور محمد لطفي الصباغ، والدكتور عبد المجيد المحتسب

سابعاً: يقبل التفسير العلمي بشروط، وهي:

١- أن يفسر القرآن الكريم بحقائق علمية لا تقبل التبديل والتغيير.

٢- ألا نقطع برأي في تفاصيل ما يعرض له القرآن من الكونيات إلا إن كان لنا عليه دليل وبرهان لا شك فيه ولا نكران.

٣- ألّا تطغى مباحث التفسير العلمي على أهم خاصيتين للقرآن الكريم وهما هدايته وإعجازه.

٤- أن تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة العلمية ويلفتهم إلى جلال القرآن ويحركهم إلى الانتفاع بالكون

٥- أن تستغل هذه الأبحاث العلمية في إثبات وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته وإضافة أمثلة جديدة للإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

الهوامش

١- سورة البقرة، ٢: ١ — ٢.

٢- سورة الإسراء، ١٧: ٩.

٣- هو الأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبي. مصري ولد سنة ١٩١٥م واغتيل سنة ١٩٧٧م. من آثاره كتاب: التفسير والمفسرون.انظر الموسوعة الحرة على شبكة الإنترنت. www.wikipidia.org

٤ - التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي. ج٢ ص٣٤٩. ط٧ س١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م نشر مكتبة وهبة القاهرة مصر.

٥ - هو الأستاذ الدكتور محمد بن لطفي بن عبد اللطيف ياسين الصباغ، من سوريا ويقيم بالرياض في المملكة العربية السعودية. (معاصر) له أكثر من ثلاثين كتاباً بين تأليف وتحقيق.

٦ -لمحات في علوم القرآن. تأليف الدكتور محمد بن لطفي الصباغ. ص ٢٩٣ ط٣ س١٤١٠هـ -١٩٩٠م. المكتب الإسلامي. بيروت- لبنان.

٧ - هو الأستاذ الدكتور عبد المجيد عبد السلام سالم المحتسب. عمل أستاذاً بالجامعة الأردنية. توفي رحمه الله في شهر سبتمبر ٢٠١١م. من آثاره: اتجاهات التفسير في العصر الراهن. انظر منتدى الناقد الإعلامي على شبكة الإنترنت.

٨ -اتجاهات التفسير في العصر الراهن للدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب. ص٢٤٧ ط٢ س ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. منشورات مكتبة النهضة الإسلامية عمان — الأردن.

٩ - هو الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي. أستاذ الدراسات القرآنية في كلية إعداد المعلمين بالرياض. معاصر.

١٠ - اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد بن سليمان الرومي. ج٢ ص٥٤٩. ط١ س١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية.

١١ - هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا. فيلسوف وطبيب مسلم، يلقب بالشيخ الرئيس. ولد في أفشنة قرب بخارى سنة٣٧٠هـ - ١٠٣٧م ودفن في همذان وقدجاوزت مصنفاته المائتين. انظر الموسوعة العربية الميسرة والموسعة. تأليف ياسين صلاواتي مج١،ص٨٤. ط١س١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. مؤسسة التاريخ العربي بيروت-لبنان.

١٢ - إخوان الصفا هم جماعة سرية، دينية وسياسية وفلسفية، شيعية أو إسماعيلية باطنية. عاشوا بالبصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري جمعوا معارف عصرهم العلمية والفلسفية والدينية في رسائل تزيد على الخمسين. انظر المرجع السابق ج١، ص٢٥٨.

١٣ - إتجاهات التفسير لفهد الرومي، ج٢ ص٥٤٩.

١٤ - إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر لفهد الرومي، ج٢، ص٥٤٩-٥٥٠.

١٥ -الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. الموسوعة الحرة ar.wikipidia.org/wiki .

١٦ –مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للأستاذ الدكتور زغلول النجار ص١٣١ ط١ س١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م. دار المعرفة. بيروت — لبنان.

١٧ – الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لنايف منير فارس ص١٥ ط١ س٢٠٠٦م. دار ابن حزم.

١٨– هو محمد بن محمد الغزالي الطوسي. أبو حامد حجة الإسلام. فيلسوف متصوف له نحو مئتي مصنف. مولده ووفاته في الطابران. ولد سنة ٤٥٠هـ – ١٠٥٨م. وتوفي سنة ٥٠٥هـ – ١١٠٠م. انظر الأعلام لخير الدين الزركلي. ج٧ ص٢٤٧–٢٤٨ . ط ١٦ سنة ٢٠٠٥م. درا العلم للملايين. بيروت–لبنان.

١٩ – هو محمد بن عمر فخر الدين الرازي أبو عبد الله، الإمام المفسر المتكلم. ولد بالري سنة ٥٤٤هـ وتوفي في هراة سنة ٦٠٦هـ. من آثاره: مفاتيح الغيب في تفسير القرآن. انظر معجم المفسرين لعادل نويهض ج٢ ص٥٩٦ مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر بدون تاريخ.

٢٠ –هو محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي — الشافعي (بدر الدين أو الحسن) فقيه، أصولي، محدث. ولد سنة ٧٤٥هـ – ١٢٤٤م. وتوفي سنة ٧٩٤هـ – ١٣٩٢م. من تصانيفه: البرهان في علوم القرآن. انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ج١٠، ص٢٠٥. دار إحياء التراث العربي.

٢١ – هو عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين أبو الفضل السيوطي. ولد في رجب سنة ٨٤٩هـ وتوفي سنة ٩١١هـ. أنظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة. ج٥ ص١٢٨. دار إحياء التراث العربي. بيروت–لبنان. بدون تاريخ.

٢٢ – انظر إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، مج١ ص٣٤١ ط١ س١٤٠٦ — ١٩٨٦م. مط دار الكتب العلمية بيروت — لبنان.

٢٣ – سورة الأعراف، ٧: ٥٤.

٢٤ – سورة ق، ٥٠: ٦.

٢٥ – سورة غافر، ٤٠: ٥٧.

٢٦ – سورة الذاريات، ٥١: ٢١.

٢٧ – سورة آل عمران، ٢: ١٩١.

٢٨ – مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي ج١٤ ص٩٩ ط١ ش١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م. دار الكتب العلمية.بيروت لبنان.

٢٩ – سورة المنافقون، ٦٣: ١١.

٣٠ – سورة مريم، ١٩:٣٣.

٣١ – البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ج٢ ص١٨١–١٨٢ ط٢ مط: عيسى البابي الحلبي وشركاؤه. بدون تاريخ.

٣٢ – سورة الأنعام، ٦: ٣٨.

٣٣ – سورة النحل، ١٦: ٨٩.

٣٤ – أخرجه الترمذي في سننه. كتاب: فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. باب ما جاء في فضل القرآن. قال أبو عيسى: هذا الحديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال. ج٥ ص١٧٢. دار إحياء التراث العربي. بيروت — لبنان.

٣٥ – أخرجه البيهقي في شعب الإيمان. باب فصل في تعاليم القرآن. ج٢ ص٣٣١. ط١ س١٤١٠هـ . دار الكتب العلمية بيروت–لبنان.

٣٦ – انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. مج٥، ص٢٤–٣٧. ط س ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م. المكتبة العصرية للطباعة والنشر. بيروت– لبنان.

٣٧ – هو طنطاوي بن جوهري المصري. ولد سنة ١٨٧٠م، وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٤٠م، كان له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة. انظر الأعلام للزركلي. ج٣ ص٢٣٠–٢٣١.

٣٨ – هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس، ولد سنة ١٣٠٨هـ بمدينة قسنطينة الواقعة بالشرق الجزائري. عالم بالتفسير والحديث.. ورائد الإصلاح والتربية في الجزائر. توفي سنة ١٣٥٩هـ. انظر معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض. ص٢٨–٢٩. ط٢ س١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م. مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر. بيروت — لبنان.

٣٩ – هو أحمد بن مصطفى المراغي. مفسر مصري من العلماء. تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩م وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٥٢م. انظر الأعلام للزركلي. ج١. ص٢٥٨.

٤٠ – الجواهر في تفسير القرآن الكريم لطنطاوي جوهري. مج١٣، ج٢٥. ص٦٣. ط ١ س١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م. دار الكتب العلمية. بيروت–لبنان.

٤١ – انظر المرجع السابق. مج٢. ج٣. ص٢٣–٢٤.

٤٢ – تفسير ابن باديس. ص٢١٢. منشورات مؤسسة المعارف. وهران–الجزائر.

٤٣ – سورة النمل، ٢٧: ٢٥.

٤٤ – تفسير ابن باديس. ص٣٥٠.

٤٥ – سورة الأنعام، ٦: ٣٨.

٤٦ – تفسير المراغي. مج٣، ج٧، ص١١٨. مط دار الفكر. بيروت–لبنان.

٤٧ – سورة يونس، ١٠: ٦١.

٤٨ – تفسير المراغي. مج٤. ج١١. ص١٢٨.

٤٩ – الأنعام، ٦: ٩٧.

٥٠ – الأنعام، ٦: ٩٨.

٥١ – سورة الرعد، ١٣: ٣.

٥٢ – التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن لحنفي أحمد. ص٠٦ ط٣. دار المعارف. مصر.

٥٣ – هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللحفي الغرناطي الشهير بالشاطبي. أصولي حافظ. كان من أئمة المالكية. من كتبه: الموافقات في أصول الشريعة. توفي سنة ٧٩٠هـ – ١٣٨٨م. انظر الأعلام للزركلي. ج١ ص٧١.

٥٤ – سورة النحل، ١٦:٨٩.

٥٥ – الأنعام، ٦: ٣٨.

٥٦ – الأنعام، ٦: ٣٨.

٥٧ – الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي. مج١، ج٢. ص٦٠-٦٢. ط٣ س١٤٢٤- ٢٠٠٣م. مط: دار الكتب العلمية. بيروت-لبنان.

٥٨ – سورة هود، ١١: ٤٩.

٥٩ – أخرجه ابن ماجة في سننه. باب من بلغ علماً. ج١ ص٨٤. قال الشيخ الألباني في الحاشية: صحيح. دار الفكر. بيروت- لبنان.

٦٠ – التحرير والتنوير لابن عاشور ج١ ص٤٢، ٤٣. ط١ س١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م. مؤسسة التاريخ. بيروت — لبنان.

٦١ – هو الشيخ محمد شلتوت من أعلام الأساتذة الذين نالوا حظاً كبيراً من العلوم الإسلامية. مصري، ولد سنة ١٣١٠هـ – ١٨٩٣م، وعين شيخاً للأزهر في سنة ١٩٥٨م إلى وفاته —رحمه الله- سنة ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م. له عدة مؤلفات مطبوعة منها: الإسلام عقيدة وشريعة، والتفسير، كتب أجزاءً منه ولم يتمه. انظر معجم تفاسير القرآن الكريم. تأليف عبد القادر زمامة، د/فاضل عبدالنبي، د/ عبد الوهاب التازي، د/ محمد الكتاني. ص٣٨٣. ط س١٤١٧هـ – ١٩٩٧م. مط:إيديال. الدار البيضاء-المغرب.

٦٢ – هو الأستاذ الدكتور محمد بن لطفي بن عبد اللطيف ياسين الصباغ، من سوريا ويقيم بالرياض في المملكة العربية السعودية. (معاصر) له أكثر من ثلاثين كتاباً بين تأليف وتحقيق.

٦٣ – هو الأستاذ الدكتور عبد المجيد عبد السلام سالم المحتسب. عمل أستاذاً بالجامعة الأردنية. توفي رحمه الله في شهر سبتمبر ٢٠١١م. من آثاره: اتجاهات التفسير في العصر الراهن. انظر منتدى الناقد الإعلامي على شبكة الإنترنت.

٦٤ – أنظر تفسير القرآن الكريم لمحمود شلتوت. ص١١ ط٧ س١٩٧٩م. دار الشروق. بيروت-لبنان.

٦٥ – تفسير القرآن الكريم لمحمود شلتوت. ص١٣-١٤.

٦٦ – انظر التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي. ج٢ ص٣٦١-٣٦٢.

٦٧ – التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي. ج٢ ص٣٦١-٣٦٢.

٦٨ – لمحات في علوم القرآن للدكتور محمد لطفي الصباغ. ص٢٩٣-٢٩٤.

٦٩ – اتجاهات التفسير في العصر الراهن للدكتور عبد المجيد المحتسب. ص٣١٤. ط٢ ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م. منشورات مكتبة النهضة الإسلامية. عمان-الأردن.

٧٠ – أنظر اتجاهات التفسير في العصر الراهن لعبد المجيد المحتسب. ص٣١٤-٣٢٣.

٧١ – أنظر مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني. مج٢ ص٣٥٧ — ٣٥٨. ط١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م. دار الفكر. بيروت-لبنان.

٧٢- أنظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد الرومي. ج٢ ص٦٠٤.